نَظَرِيَّةُ الْمَعْرِفَةِ وَقَوَاعِدُ التَّفْكِيرِ السَّلِيمِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ /مُطْلَقُ الْجَاسِرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده إمامنا وقدوتنا محمد بن عبد الله.

أسباب اختيار موضوع حول نظرية المعرفة؟ وعلاقته بتعزيز اليقين؟

نبدأ بأوَل فقرة، شيخنا في دورة "براهين لتعزيز اليقين" شاهدنا لك محاضرة حول نظرية المعرفة، سوف أسأل ما هو سبب اختياركم لهذا الموضوع؟ وما علاقتهُ بتعزيز اليقين؟

الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أمّا بعد . . .

في البداية أتوجه بالشكر الجزيل والثناء العاطر الجميل لكل الإخوة الكرام الذين كانوا سببًا في هذه الدعوة وأشكرهم عليها، وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنْ يجعل هذه الدقائق في موازين حسناتنا جميعًا، وأنْ ينفعنا بها، وينفع الإخوة والأخوات المستمعين والمستمعات.

مصادر المعرفة

۞ بالنسبة لنظرية المعرفة أو مصادر المعرفة أو تصحيح مصادر المعرفة:

هذا الموضوع انتبهتُ لأهميتهِ إثر بعض الحوارات اَلَّتِي جرت بيني وبين بعض الشباب، فمنذ سنة ١٤٣٢ الموافق ٢٠١٢ تقريبًا إلى يومنا هذا بدأت بعدد أو سلسلة من الحوارات مع عدد كبير من الشباب لم أحصهم مع الأسف، كانت متنوعة؛ كان منهم الملحد، ومنهم اللاديني، ومنهم المسلم المتشكك، كانوا أنواع.

فكنت أسوق الأدلة والبراهين، وأنقلها من كتب أهل العلم، فكنت عندما أقرأ الدليل في كتاب وأحضر، وهذا أمر ألزمتُ نفسي بهِ قبل أي جلسة أنْ أحضر المعلومات والأدلة والبراهين، ولو كان الموضوع قد سبق نقاشهُ، وأنا أحضر كنت أقول: ما شاء الله! هذا هو الدليل اَلَّذِي لا دليل بعده، هذا هو الجواب المسكت، وهذه هي الحُجَّة الساطعة والبرهان القاطع، فكنت أفاجأ في أثناء الحوار بعض سوق الدليل والبرهان بأنَّ الشاب أجدهُ يرفع كتفيه، وينظرُ إليَّ ويقول بكل بساطة: لم تقنعني، فكنت أستغرب كيف هذا الدليل، وهذا البرهان اَلَّذِي لا برهان بعده، كيف يقول هذا الشاب أنَّ ما أقنعتني؟! وأنَّ هذا شيء غير مقنع وإلى آخرهِ؟!

فكنت أستغرب للأمانة استغرابًا شديدًا، ثم انتبهت بعد ذلك إلى أنَّ المشكلة ليست في الدليل، وإنَّما المشكلة في متلقي الدليل، المشكلة في العقل، أو المشكلة في "المنظومة المعرفية، أو نظرية المعرفة" -إنْ صح التعبير- عند هذا الشاب، فبكل بساطة لو كان شخص يرتدي نظارة سوداء قاتمة، فإنهُ لن يرَى شيئًا، وسيخبرك وفعلًا ما يرى شيء، فهو فعلًا لا يكذب الرجل، وأنت تقول: انظر هذا الدليل، هذا البرهان، انظر الشمس في رابعة النهار، هو مرتدي قناع على وجههِ غير نافذ.

هو لم يكذب وأنت لم تكذب، أين المشكلة؟ المشكلة أنك نظرت إلى الدليل، ولم تنظر إلى الآلة اَلَّتِي يُدرِك من خلالها هذا الشاب أو هذا الشخص الدليل، وبعضهم لا تكون النظارة قاتمة، وإنَّما تكون فيها كسر أو فيها غبش أو فيها لون مختلف، فيرى الأشياء زرقاء، تقول: انظر هذا الجبل -ما شاء الله- لونهُ أبيض من الثلج، يقول لك: لا، هذا ليس أبيض، هذا أزرق، أو أخضر، فتقول لشاك: لا يا حبيبي أبيض! هو يصر أنهُ أخضر أو أزرق وهو لم يكذب، السبب في النظارة اَلَّتِي يرتديها.

- **فاكتشفت أنَّ أوَلًا:** ينبغي أنْ أزيل هذه النظارات القاتمة أو الملونة أو المغبشة اَلَّتِي تكون على الأعين، وأتأكد من صحة النظر لدى هذا الشخص اَلَّذِي أناقشهُ أو أحاضرهُ.

- ثم بعد ذلك نطرح ما نشاء طرحهُ من أدلة وبراهين ونحو ذلك.

فوجدت أنَّ هذا هو السبب فعلًا، فبدأت بالبحث عن فكرة نظرية المعرفة وقرأت فيها، ودوَّنت فيها بعض الأوراق، وضمنتها في كتابي [ترياق] بالفصل الثاني بعنوان [نقطة البداية تصحيح مصادر المعرفة]، واكتشفت أنَّ هذا الكلام قد سبق إليهِ علماؤنا قديمًا:

- **منهم**: شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ على سبيل المثال، في كتابهِ [درء تعارض العقل والنقل]، حيث يقول في أوَل الكلام: (**فَلَا بُدَّ مِنْ عُلُومٍ بَدِيهِيَّةٍ أَوَّلِيَّةٍ يَبْتَدِؤُهَا اللهُ فِي قَلْبِهِ، وَغَايَةُ الْبُرْهَانِ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهَا، ثُمَّ تِلْكَ الْعُلُومُ الضَّرُورِيَّةُ قَدْ يُعْرِضُ فِيهَا شُبُهَاتٌ وَوَسَاوِسُ كَالشُّبُهَاتِ السَّفْسَطَائِيَّةِ**).

والشبهات القادحة في تلك العلوم لا يمكن الجواب عنها بالبرهان؛ لأنَّ غاية البرهان أنْ ينتهي إليها، فإذا وقع الشكُّ فيها انقطع طريق النظر والبحث، ولهذا كان مَنْ أنكر العلوم الحسية والضرورية لم يُناظَر، رجل ينكر العلوم الحسية والضرورية، ينكر البديهيات العقلية.

➤ **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَمْ يُنَاظِرْ هَذَا الشَّخْصَ، بَلْ إِذَا كَانَ جَاحِدًا وَمُعَانِدًا عُوقِبَ حَتَّى يَعْتَرِفَ بِالْحَقِّ، وَإِنْ كَانَ غَالِطًا إِمَّا لِفَسَادِ عَرْضٍ لِحِسِّهِ أَوْ عَقْلِهِ بِعَجْزِهِ عَنْ فَهْمِ تِلْكَ الْعُلُومِ، وَإِمَّا لِنَحْوِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُعَالَجُ بِمَا يُوجِبُ حُصُولَ شُرُوطِ الْعِلْمِ لَهُ وَانْتِفَاءَ مَوَانِعِهِ**). انتهى كلامهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهذا الأمر يدلُّ على أهمية فكرة أو الالتفات إلى قضية تصحيح مصادر المعرفة، فلما قمنا في مركز بيِنات بدورة "**براهين الإسلام الأولى**" اَلَّتِي كانت عن براهين وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وبراهين نبوة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وضعت المقدمة أو المحاضرة الأولى فيها عن هذا الموضوع، وهو موضوع نظرية المعرفة وقواعد التفكير السليم؛ محاولةً لتصحيح النظر قبل أنْ نشير بأصابعنا إلى أدلة وجود الله، أو أدلة صحة نبوة النبيّ محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حتى نتمكَّن جميعًا من رؤيتها بوضوح.

أهمية هذه النظرية

المقدم: جميل، أحسن الله إليك يا شيخنا، في نقطة مهمة جدًّا، ودائمًا لاحظناها في كثير في الشبهات اَلَّتِي تمر علينا في الرومات (المساحات) هنا أنْ يكون الخلل في نظرية المعرفة، دائمًا وغالبًا أغلب مَنْ رأيناهم هناك في نظرية المعرفة، السؤال الآن: كيف نوصل لهم أهمية هذه النظرية؟

الشيخ: طبعًا لا نملك أمام هؤلاء إلَّا الإقناع، وبيان خطورة الأمر، ثم إذا لم يقتنع بضرورة تصحيح مصادر المعرفة، فقبل أنْ تُناظِر شخصًا أو تحاورهُ أو تناقشه لا بُدَّ من توحيد الأرضية أرضية النقاش.

۞ من الخطأ الكبير اَلَّذِي يقع في المناظرات والحوارات في حياتنا اليومية بشكل عام:

١. عدم توحيد المعطيات.

٢. عدم توحيد مصادر المعرفة.

٣. عدم توحيد الأرضية المشتركة للحوار.

فيصير المتحاوران كما قال الشاعر:

سَارَتْ مُشْرِقَةً وَسِرْتُ مَغْرِبًا شَتَّانَ بَيْنَ مَشْرِقٍ وَمَغْرِبِ

۞فلذلك إذا لم يقتنع الشخص اَلَّذِي أمامك بمصادر المعرفة عندك، فتقول لهُ: أخبرني أنت ما هي الأدلة اَلَّتِي تريدها؟ وهذه إشكالية كبرى لمستها كذلك من بعض الشباب الذين حاورتهم، بعض الشباب يعطيك عبارات رنانة وبراقة، كقولهِ: أنا رجل باحث عن الحقيقة، وهذه حصلت معي، شخص أتاني وقال

لي: أعطني أدلة على صحة الإسلام وكذا وكذا، فقلت لهُ: أبشر، ولكن أنت وهذه نقطة مهمة يجب أنْ تعرف مَنْ أمامك ما موقفهُ، أين يقف بالضبط في الخريطة العقدية -إنْ صحَّ التعبير-.

★ **فقلت له:** أنت الآن ما موقفك العقدي الآن؟ فقال: كلام غريب، قال هذا الكلام وهو منتشي، قالهُ وكأنهُ اخترع شيء، قال: أنا رجل باحث عن الحقيقة أينما وجدت الحقيقة فأنا معها، قلت لهُ: هذا كلام حلو لكن غير مفهوم، قال: لماذا؟ قلت لهُ: هذه الحقيقة اَلَّتِي تبحثُ عنها ما شكلها؟ ما صفتها؟ ما حدودها؟ كيف تعرف أنك وصلت إليها؟ فأذكر أنهُ كان متكئًا فجلس -إنْ صحّ التعبير-، قال: والله ما أدري، أنا أبحث عن الحقيقة فقط، قلت لهُ: أنا معك، كلنا إنْ شاء الله نبحث عن الحقيقة ما اختلفنا، لكن كيف تعرف أنك وصلت إلى هذه الحقيقة حتى أنا أعرف معك وأعطيك ياها، قال: والله ما أدري، ما فكرت صراحة في هذا السؤال، هذا هذا شاب.

★ **شاب آخر كذلك هذا من وقت قريب قبل تقريبًا شهر،** عمرهُ سبعة عشر سنة، ونفس الموضوع قال لي: أنا غير مقتنع بصحة الإسلام، أقنعوني بصحة الإسلام، قلت لهُ: طيب، وردد عبارة لا أعرف من أين جاء بها قال: دِّين بحجم الإسلام يجب أنْ تكون الأدلة بحجم الإسلام، أي أدلة واضحة و و إلى آخرهِ، قلت لهُ: حاضر، الأدلة إنْ شاء الله واضحة وموجودة وكذا، ولكن سؤالي لك ما نوع الأدلة اَلَّتِي تريدها؟ ما اَلَّذِي تريده بالضبط؟ هل تريد أحد ينزل من السماء يخبرك بصحة الإسلام؟ قال: لا، قلت لهُ: هل تريد أنْ ينفلق لك الجبل ويتكلَّم ويصبح الجبل كالشفتين يتكلَّم ويخبرك بصحة الإسلام؟ فما اَلَّذِي تريده بالضبط؟ قال: لا، أريد دليل، قلت لهُ: ما الدليل اَلَّذِي تريدهُ؟ ما نوع الدليل اَلَّذِي تريدهُ؟ قال: والله ما أدري.

۞ فهنا نحن على مأزق أمام مشكلة، نحن ندخل معهم في حوارات هم لا يعرفون ماذا يريدون، لا يعرفون شكل الدليل، لا يعرفون ما معنى الدليل أصلًا، فلذلك اَلَّذِي ينبغي أنْ نفعلهُ أنْ نتفق معهم أوَلًا على نوع الدليل اَلَّذِي تريده.

فهذا الشاب قال: أنا أعطيك نوع الدليل، قلت لهُ: تفضل، قال: أريد دليل علمي، قلت لهُ: علمي ماذا تقصد فكلنا نتكلَّم بالعلم، قال: لا، علمي أي مختبر وكذا وكذا، قلت لهُ: حاضر، فأخرجت لهُ ثلاث أدلة من الأدلة العلمية على صحة الإسلام، قلت لهُ: الدليل الأوَل: وأتيت لهُ بشهادات العلماء المتخصصين كذا كذا، هل عندك اعتراض؟ قال: لا، الدليل الثاني: قال: صحيح، الدليل الثالث: قال: صحيح، قلت لهُ: حلو، إذًا أتيتك بالدليل، قال: لا، لكنهُ غير كافي، ثلاثة ليس كافي لا بُدَّ أنْ يكون أكثر، قلت لهُ: كم العدد؟! قال: ما أدري.

➤ فنحن أمام مشكلة في المنظومة المعرفية لدى هؤلاء، فلذلك نصيحتي لكل مَنْ يناقش هؤلاء أنْ ينتبه لهذا المعنى، لا تنساق معهم في الأدلة والبراهين قبل أنْ تثبت معهم نظرية المعرفة، وتتفق معهم على صحتها، فإذا لم يتفق معك قل لهُ: أنت ماذا تريد؟ ماذا تريد بالضبط؟ ما نوع الدليل اَلَّذِي تريدهُ؟ ومن خلال هذا السؤال سيتبين لك.

معنى العقل

المقدم: دكتور مطلق تسمح لي، أنت تطرقت لنقطة مهمة وهي **توحيد الأرضية المشتركة**، الآن أنا أخذك على مصدر من مصادر المعرفة وهو **العقل**، نحن الآن نعلم أنَّ من أحد مصادر المعرفة العقل، دائمًا يأتي لك الشخص يقول لك: عقلي لم يقبل، هذا بالعقل الخاطئ، **ما هو معنى تحرير العقل هنا؟ فكلنا ندّعي العقل ولكن مَنْ يدرك معنى العقل؟**

الشيخ: طبعًا هذه العبارة عبارة "عقلي لم يقتنع، أو أريد أن تُقنِع عقلي، أو عقلي لم يرتضي هذا الأمر في الدِّين"، ونحو هذه العبارات اَلَّتِي ترجع الموقف إلى العقل، هذه فيها إشكال في تحرير معنى العقل، كيف؟ إذا قال لك أحد هذا الأمر تسألهُ سؤال يسير وبسيط: ما معنى العقل؟ هو طبعًا لن يجيب بإجابة واضحة، فأقول لهُ: اعلم أنَّ العقل لهُ أربعة معاني.

۞ العقل عند العلماء له أربعة معاني:

❁ **المعنى الأوَل: بمعنى الغريزة المدرِكة**، فلما تقول: فضَّل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإنسان بالعقلِ، أي بالغريزة اَلَّتِي تُدرِك الأشياء أو الآلة أو القوة اَلَّتِي أودعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الإنسان، هذا هو العقل، وهذا المعنى للعقل هو اَلَّذِي بنى عليهِ الحارث المحاسبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابهُ [مائية العقل]، مائية العقل أي ماهية العقل، بمعنى الغريزة المدرِكة، هذا المعنى الأوَل.

❁ **المعنى الثاني للعقل: بمعنى الحكمة والرزانة**، يأتي العقل بمعنى الحكمة والرزانة، فتقول: ما شاء الله فلان عاقل، ما معنى عاقل؟ أي رزين، راكد، نحن بالكوتي نسميه اتكانة، وكما قال الأصمعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْعَقْلُ الْإِمْسَاكُ عَنْ الْقَبِيحِ، وَقَصْرُ النَّفْسِ وَحَبْسُهَا عَلَى الْحَسَنِ**)، هذا المعنى الثاني.

❁ **المعنى الثالث للعقل: بمعنى أثر التفكير**، وهذا الأثر للتفكير هو في واقعهِ ليس بالضرورةِ أنْ يكون صحيحًا، كل النَّاس تفكر لكن هل كل النَّاس صح؟ أبدًا، بدليل: أننا في المسألةِ الواحدة نفكر ونخرج بآراء متعددة فلا يُعقَل أنْ تكون كلها صواب، رغم أنَّ كل ما فكرنا بهِ هو عقل، هو نتيجة العقل، ونستطيع أنْ نختصر هذا المعنى الثالث للعقل بمعنى الظن، أو ثمرة التفكير اَلَّذِي قد يكون ظنيًا، وقد يكون صحيحًا، وقد يكون غير صحيح.

❁ **المعنى الرابع للعقل**: **بمعنى البديهيات العقلية أو القطعيات العقلية**، أي اَلَّتِي يتفقُ عليها جميع العقلاء، مثل مبدأ: عدم التناقض، مبدأ السببية، مبدأ الثالث المرفوع، إلى آخرهِ.

۞ **فالمعنى الأوَل والثاني والثالث للعقل اَلَّذِي سبق بيانهُ قبل قليل**: لا تصلح هذه المعاني أنْ يُعارَض بها الحقّ، فلا يجوز أنْ تقول لي: أنا غريزتي ما اقتنعت، خطأ، لا يجوز، مثل شخص يقول: أنت ما أقنعت ابني، الأذن هذه آلة تدرِك السمع، ما يصحّ أنْ نجعلها متعارضة مع شيء، هي مجرد آلة، قد تُخدَع هذه الآلة بسمع ما ليس بصحيح، قل مثل ذلك في العين، قل مثل ذلك في العقل بمعنى الآلة المدركة، إذًا هذا هو المعنى الأوَل.

★ **المعنى الثاني**: وهو العقل بمعنى الرزانة، هذا أيضًا غير وارد؛ لأنَّ هنا لا نتكلَّم نحن عن أفكار أو معلومات حتى نجعلها متعارضة مع شيء، وإنما نتكلَّم عن أفعال، كلام عاقل بمعنى الرزين، وهذا غير وارد في التعارض.

★ **المعنى الثالث للعقل:** وهو بمعنى العلوم النظرية المُكتسبة، أو بمعنى ناتج أو نتيجة العقل، وهذا المعنى للعقل وارد أنْ يكون مخالفًا لنصٍ شرعي طبيعي؛ لأنَّ هذا المعنى للعقل ليس بالضرورةِ أنْ يكون صحيحًا، أنا قد أُفكِر ونتيجة تفكيري خطأ، أنا استخدمت عقلي لكن المعطيات كانت خاطئة، المُدخلات كانت خاطئة، فالنتيجة بالضرورة ستكون خاطئة.

➤ **فعندما يقول لي شخص**: هذه الآية، أو هذا الحديث، أو أنت لم تأتِ بدليل يوافق عقلي، أقول لهُ: عقلك إذا كنت تقصد العقل بهذا المعنى العلوم الظنية أقول: وليكن أنهُ خالف عقلك بهذا المعنى، وعقلك هو الخطأ، ليس كل نتيجة تفكير عقلي بالضرورة تكون صوابًا، وهذا المعنى يدركهُ كل النَّاس.

كل واحد فينا أدرك من نفسهِ أنهُ كان في يوم من الأيام قد أخطأ في نتيجة تفكير معين وهذا كثير، فهذا المعنى للعقل لا يصلحُ أنْ يُعارَض بهِ الأدلة الشَّرعية.

★ **بقي عندنا المعنى الرابع للعقل**: وهو القطعيات، الأمور المُسلمات العقلية، البراهين القطعية للعقل، وهذا المعنى للعقل لا توجد آية في كتاب الله ولا حديث صحَّ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تخالفهُ، ونتحدى مَنْ يأتينا بذلك، نتحدَّى أنْ يأتي شخص بآية من كتاب الله، أو بحديث صحيح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يخالف العقل بمعنى الرابع بمعنى القطعيات العقلية، وهو مبدأ عدم التناقض، مبدأ الهوية، مبدأ الثالث المرفوع، مبدأ العلمية أو السببية، هذا المعنى غير وارد أنْ يخالف نصًّا شرعيًا.

❋ **لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عبارتهُ الشهيرة**: (**إِنَّ الشَّرْعَ يَأْتِي بِمَحَارَةِ الْعُقُولِ**)، أي الأمور الَّتِي تحتار فيها العقول، نعم، (**وَلَكِنَّ الشَّرْعَ لَا يَأْتِي بِمَحَالَةِ الْعُقُولِ**)، محالة العقول هي مخالفة العقل بالمعنى الرابع.

❁ إذًا مَنْ يأتيني ليناقش أو يناظر أو يحاور في الدِّين، ويقول عبارة مثل عبارة: أنا عقلي لم يقبل أسألهُ سؤالًا يسيرًا وبسيطًا ماذا تعني بالعقل؟ فإذا أراد المعنى الأوَل أو الثاني أو الثالث رددت كلامهُ عليهِ، إذا أراد المعنى الرابع أقول: أعطني القاعدة العقلية الَّتِي خالفت الدِّين، ولن يجد إلى ذلك سبيلًا.

النقيضان لا يجتمعان كيف هذا وما ردنا عليه؟

المقدم: جميل دكتور مطلق، لكن لو جاءنا شخص لا يسلم بالقواعد العقلية الضرورية، قال: نحن لا نرى النقيضان يجتمعان؛ **لأننا وُلِدنا في هذا الكون وفي هذا العالم وهذا نظامهُ، بينما لو وُلِدنا في عالم آخر لوجدنا إمكان اجتماع النقيضان ما المشكلة؟** وممكن يستدل لك بميكانيكا الكم.

الشيخ: طبعًا مثلما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ الشبهات لا تنتهي، بمعنى مَنْ يقول مثل هذا الكلام قد دخل في حيز ما يُسمَّى بـ **"السفسطة"، ما معنى السفسطة؟** السفسطة هو مبدأ أو منهج يتبعهُ بعض النَّاس يشكك في العقليات بمعنى الأمور المسلمة العقلية، ويقولون مثل عبارة: أنا لا أسلم؛ لأنَّ بعضهم يقول: أنا لا أسلم أنَّ هناك حقيقة مطلقة أصلًا، **وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:**

- **القسم الأوَل:** اللاأدرية الذين يقولون: كل شيء لا ندري، لا ندري.
- **القسم الثاني:** العِندية.
- **القسم الثالث:** العنادية.

★ **العندية:** نسبةً إلى لفظ عند، أي عندي أنا، وهم الذين يجعلون الأشياء تابعةً لاعتقادات النَّاس، وهم ما يُسمَّى بـ **"الحقيقة النسبية"**، أنا بالنسبة لي كلامي بالنسبة لي أنا حقّ وبالنسبة لك أنت حقّ لا يوجد حقيقة مطلقة.

★ **أما العنادية:** هؤلاء نسبةً إلى العناد، أي هم ضدك على طول الخط، وهؤلاء لا حيلة معهم، العنادية اَلَّذِي كل ما تقول لهُ شيء يقول لك: لا أنا ما اقتنعت، لا تفعل شيء، لا حول ولا قوة إلَّا بالله، ما حيلتك معهُ؟ أنا مرة سألت شخص كنت أناقشهُ وأتيتهُ بدليل العقل، قال: ما أسلم، قلت لهُ: واحد زائد واحد يساوي كم؟ قال: اثنين، قلت لهُ: نعم، قال: لكن ليس أكيد اثنين، بهذا اللفظ، قلت لهُ: لماذا؟ قال: إلى الآن النتيجة اثنين، واحد زائد واحد يساوي اثنين، ولكن أنا لستُ متأكدًا من هذه النتيجة مائة في المائة، يمكن في المستقبل نكتشف أنَّ النتيجة ليست اثنين.

۞ **فهذا شخص بهذا التفكير ماذا تفعل معهُ؟** هذا لا يوجد لهُ أرضية أصلًا؛ لأنَّ كلما تأتي لهُ بشيء قال: لا، أنا لم أقتنع، فهذا الحلُ معهُ أنْ تعرض عنهُ، أنْ تدعو لهُ بظهر الغيب، وتسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهُ أنْ يصلح قلبهُ وعقله، وممكن أنْ تتناقش معهُ بالحُجج العاطفية مثلًا، ممكن تسولف معهُ عن أي شيء آخر، لكن المناقشة المبنية على الأدلة والبراهين والحُجج لا يصلح لها مثل هذا الشخص اَلَّذِي يشكك في كل شيء.

➤ **مَنْ يقول مثلًا:** الأدلة العقلية أنا لم أقتنع بها، يمكن نحن صح في عالم فيهِ هذه الأشياء، لكن قد يُوجَد عالم آخر ليس فيهِ هذه الأشياء، نقول: هذا كلام سفسطائي لا قيمة لهُ، ومثل هؤلاء لا يُناقشوَن – وجهة نظري– بالأدلة والبراهين، وهؤلاء مثل هؤلاء الذين يقولون: لا حقيقة للأشياء وهم العنادية.

ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ساق في كتابهِ [الملل والنحل] ردًا عليهم وهو الظاهر أخذهُ مَمَنْ سبق، ولكن هو اَلَّذِي اشتهر عنهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذين يقولون: إنهُ لا حقيقة للأشياء، يقول ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قولكم لا حقيقة للأشياء أحقٌّ هو؟**) فإنْ قالوا: نعم، ناقضوا نفسهم؛ لأنهم جعلوا الحقيقة، فهم يقولون: لا حقيقة للأشياء.

فكرة أنهُ لا حقيقة للأشياء، هل هذا حقيقة؟ فإذا قالوا: نعم هي حقيقة فقد ناقضوا نفسهم، وإنْ قالوا: لا، ليست حقيقة فقد ردوا على أنفسهم.

❁ **فالشاهد**: أنَّ هؤلاء السفسطائيين إذا قالوا مثل هذا الكلام يناقشون فيهِ البديهيات العقلية أنا أرى أنَّ الموقف الصحيح الانسحاب من المناقشة العقلية الجادة، والحديث معهم في أي شيء آخر.

ما هي الفطرة؟ وما الدليل عليها؟

المقدم: ننتقل لموضوع الفطرة دكتور/ مطلق، أنت دائمًا تذكر أنَّ العادة في الكتب تُذكَر في ثلاث مصادر للمعرفة، أنت دائمًا تشير لمعنى الفطرة كمصدر رابع، ما هي الفطرة؟ وما الدليل عليها؟ ولكن أريد أنْ نأخذ دليل لا يكون مثلًا فيهِ مصادرة على المطلوب، فإنْ أتيت لي بحديث سيأتي المخالف يقول: أنا لا أسلم بحديث: **«كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرةِ»**.

الشيخ: **أنا بالنسبة لي رأيي المتواضع أنَّ مصادر المعرفة في الإسلام أربعة:**

١. الفطرة.

٢. العقل.

٣. الحِس.

٤. الخبر.

بالنسبة للفِطرة وردت في الكتاب والسُّنَّة، وأنا الآن أسوق ما جاء في الكتابِ والسُّنَّة لا للاستدلال بهِ على مَنْ لا يعترف بالقرآن والسُّنَّة، ولكن لبيانِ أنَّ دِّيننا قد جاء بهذا المعنى، ثم سأذكر ما يمكن أنْ يكون دليلًا لَمَنْ لا يعترف بالقرآن والسُّنَّة من غير المسلمين.

۞ **فيقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابهِ: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾**[الروم:٣٠]، ويقول النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- أن النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: **«كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ».**

فهذا الحديث وقبلهُ الآية الكريمة تدلّ على وجود شيء اسمهُ الفِطرة، ما هي الفطرة؟ **الفطرة**: هي قوة مودعة في النفس أو جزء، أو شيء من المعلومات -إن صحَّ التعبير- مودعة في النفس تولد مع الإنسان، تقتضي معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وتقتضي توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وتقتضي إدراك المبادئ العقلية الضرورية اَلَّتِي تسير حياتهُ من خلالها بشكلٍ صحيح، هذه محاولة لتعريف أو بيان معنى الفِطرة اَلَّتِي نعنيها.

هذه الفِطرة أهي موجودةٌ في الإنسانِ عند ولادتهِ أم لا؟ هناك إذا أردتُ أنْ أستدل على وجودها بأدلة لغير المسلمين الذين لا يعترفون أو لا يؤمنون بالقرآن والسُّنَّة، **فلعلي أذكرُ دليلين:**

❁ **الدليل الأوَل: دليل المشاهدة**، بمعنى إذا وُلِد الطفل الصغير فإنَّ هذا الطفل ليس خاليًا تمامًا من المهارات -إن صحَّ التعبير-، أو من بعض الأشياء، **مثل**: الرضاعة، فكرة الرضاعة أنْ يرضع الطفل من أمهِ، لا شك أنَّ عملية الرضاعة هذه تستدعي مهارةً ما، تستدعي أمر يدفع هذا المخلوق أو هذا الطفل، ليس بالضرورة الطفل حتى الحيوانات أنْ يلتقم ثدي أمه ويرضع، هذا من أين عرف هذا الأمر؟! هذا وُلِد بهِ.

الطفل الصغير دون أنْ يعلمهُ أحد دون أنْ يتلَّقى أي تعليم إذا أتيتهُ من الخلف وضربتهُ، فإنهُ سيلتفت؛ لأنهُ قد أودع في قلبهِ وأودع في نفسهِ أنَّ لكل فعل فاعل، لكل حدث محدث، فإذا ضُرِب أو عُمِل لهُ فعل معين فإنهُ سيلتفت بحثًا عن هذا الفاعل، من أين أتت هذه المعلومة إنْ صحَّ التعبير؟ وُلدَت معهُ، هذا الدليل الأوَل.

❁ **الدليل الثاني: دليل علمي تجريبي**، وذلك من خلال بحث شهير أجراهُ مجموعة من الأساتذة في جامعة أكسفورد في بريطانيا، سبعة وخمسين باحث في عشرين دولة على مدار ثلاث سنوات قاموا ببحث نُشِر في موقع جامعة أكسفورد في الإنترنت، وذكرت هذا البحث وذكرت الموقع اَلَّذِي نُشِر فيهِ في كتابي [ترياق]، وأُلِّف عن هذا البحث كتاب مُترجم ومطبوع ومشهور لجاستن بيرت وطُبِع وعُرِب، وهو من إصدارات مركز دلائل بعنوان **"فطرية الإيمان كيف أثبتت التجارب أنَّ الأطفال يولدون مؤمنين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ "**.

❁ **فخلاصة نتائج هذا البحث**: أنَّ الأطفال الصغار يولدون ولديهم فِطرة الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وفِطرة الإيمان بوجودِ حياةٍ بعد الموت، فهذا يمكن أنْ يكون دليلًا لمصدر الفِطرة.

الرد على مَنْ ينكر أن الإنسان يُولَد على الفطرة

المقدم: جميل، جميل يا شيخنا، عفوًا إذا تسمح لي في موضوع الفِطرة مرة واحدة، الآن يا دكتور مطلق كيف الشخص يُولَد مثلًا مسلم؟ إذا جاء شخص يتساءل ويقول: **«كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُمَجِّسَانِهِ أو يُهَوِّدَانِهِ»**، يقول: أنا وُلدَت ولا أعلم الصلاة، أو يأتي شخص ملحد ويقول: نحن ولدنا ولا نعرف مسألة وجود لله، حتى نكون أكثر منصفين الإنسان يولد مثلًا ليس عندهُ فكرة هل في إله ما في إله، فكيف ممكن نعالج هذا الحديث؟

الشيخ: هذا الحديث مثلما أخبرتك يقول: **«كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ»**، لا نعني بذلك أنهُ يُولَد إذا وضع في جزيرة أنهُ سيخرج عالمًا بالدِّين الإسلامي ليس بالضرورة، ولكن إنهُ سيخرجُ موحدًا مؤمنًا بوجود الله، مؤمنًا بوحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، مقتضى الدِّين الإسلامي، ولكنهُ طبعًا لن يستطيع أنْ يعرف تفاصيل الدِّين الإسلامي وتشريعات الدِّين الإسلامي من وجوب الصلاة ووجوب الصيام مثلًا إلى آخرهِ، هذه تحتاج إلى تعليم.

ولكنهُ سيكون عِندهُ الحد اَلَّذِي يمكنهُ من أنْ يكون موحدًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، مؤمنًا بوجودهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وهذا هو اَلَّذِي نصَّت عليهِ التجارب اَلَّتِي قلت عنها قبل قليل.

إمكانية المعرفة

المقدم: جميل، جميل يا شيخنا، هناك جزئيتين دائمًا ندور فيها في نقاشتنا هنا، ودائمًا نلاحظها وهو حول إمكانية المعرفة، وكذلك أنَّ هناك شبه غلو أو ليس شبه بل هناك غلو كبير جدًّا في الدليل الحسي، فهذه الجزئيتين اَلَّتِي نلاحظها.

الشيخ: بالنسبة لقضية إمكانية المعرفة هذه قضية نوقشت قديمًا، وهي اَلَّتِي أشرت لها قبل قليل في قضية السفسطائيين هؤلاء الذين كانوا ينكرون إمكانية المعرفة، أو إمكانية الوصول إلى الحقيقة بيقين، وهؤلاء السفسطائيين وكان على رأسهم الفيلسوف بروتاغوراس الشهير وهو كان على رأس هؤلاء، وكذلك الفيلسوف نيرون وغيرهم، هؤلاء كانوا ينكرون إمكانية الوصول إلى اليقين، أو إمكانية الوصول إلى الحقيقة، وهؤلاء لم يرد عليهم المسلمون فقط، بل رد عليهم حتى غير المسلمين.

❁ **بل على رأسهم فلاسفة اليونان نفسهم:** سُقراط وأفلاطون وأرسطو كانوا ينكرون على هؤلاء السفسطائيين، وينكرون ما هم عليهِ، ويرون أنهُ يمكن أنْ نصل إلى الحقيقة بيقين، طبعًا في هنا على الهامش بعضهم يدافع عن السفسطائيين ويقول: إنهم ظلموا في هذا، وإنهم كانوا محبين للحكمة ونحو ذلك، وهناك كتاب للدكتور الطيب/ بوعزة بعنوان [دفاعًا عن السفسطائية]، وهذا الكتاب يقول: إنهُ لا يوجد شيء اسمهُ السفسطائيين، وأنَّ السفسطائيين هؤلاء أنهم كانوا عندهم بعض الأشياء إلى آخرهِ.

➤ **أنا أقول**: لا مشاحة في الاصطلاح، سمهم سفسطائيين سمهم ما شئت، ولكن الفكرة اَلَّتِي تقوم على مبدأ عدم إمكانية الوصول إلى المعرفة بيقين هذه فكرة مرفوضة عند المسلمين، وعند غير المسلمين من العقلاء، ومردودٌ عليها، هذا بالنسبة للفكرة الأوَلى.

❁ **بالنسبة لقضية الغلو في المبدأ المادي أو الدليل المادي أو الدليل الحسي**: هذا هو اَلَّذِي يجعل هناك علامة فارقة بين نظرية المعرفة في الإسلام ونظرية المعرفة بغيرِهِ، نظرية المعرفة في الإسلام تجعلُ هناك شيئًا من التكامل بين مصادر المعرفة، فهناك اعتراف بالعقل كمصدر من مصادر المعرفة، واعتراف بالحِس كمصدر من مصادر المعرفة، واعتراف بالخبر كمصدر من مصادر المعرفة، واعتراف بالفِطرة كمصدر من مصادر المعرفة، وهذا الاعتراف بهذه المصادر مبني على التكامل بينها، فكل مصدر يكمل الثاني دون غلو في مصدرٍ من هذه المصادر على حساب المصدر الآخر.

➤ **وكذلك مبني على بناء مصدر على مصدر**، فمثلًا: المصدر الحسي، مبدأ الحس هؤلاء الذين يغنون بالحِس ويمكن أنْ نقول أو يتفرَّع عنهم ما يُسمَّى بـ**"المبدأ العلموي السانتزم"** الذين يجعلون العلم التجريبي هو المصدر الوحيد للمعرفة ولا مصدر غيره، هذا المنهج المادي أو العلموي أو المتفرع عن المنهج المادي، هذا لهُ أسباب أدت إلى ظهورهِ وانتشارهِ لدى النَّاس في الفترة الأخيرة.

أقصد بالفترة الأخيرة القرن الماضي ويمكن قبله بقليل توسع حركة الاكتشافات العلمية اَلَّتِي أبهرت النَّاس، صار هناك نوع من الغلو في تمجيد العلم وتمجيد الأبحاث العلمية، وتمجيد المختبرات، وصار هناك نوع من تنزيل هذا العلم فوق منزلته اَلَّتِي يستحقها، فكثرة الاكتشافات العلمية وتوسعها وانتشارها أعطى حالةً من الانبهار بهذا المصدر من مصادر المعرفة، وأدَّى كذلك إلى إشكالية ما أريد أنْ أتوسع فيها ونأخذ الكثير من الوقت يمكن عندنا أمور أخرى.

۞ ولكن لا بُدَّ من الإشارة إليها: أنَّ انتشار العلم والمعرفة، **بمعنى الاختراعات والاكتشافات أدَّى إلى إشكاليتين اثنتين كبيرتين:**

❁ الإشكالية الأوَلى: هو توهم البشر أنهم أصبحوا في غنًى عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ، وعن معرفتهِ وعن عبادتهِ، فلما اكتشفوا مثلًا أشياء كانت خافية عنهم، وكانوا ينسبونها إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ، فيقولون: مثلًا هذا المطر من أين أتى؟ فكانت الإجابة الموجودة عند النَّاس والله أتى من الله هو اَلَّذِي أنزل المطر.

فلما توسعوا في العلم واكتشفوا أنَّ المطر هو عبارة عن دورة معينة يتبخَر فيها الماء من البحر، ثم يتكثف على شكل سُحب، ثم بعملياتٍ معينة ينزل المطر، فقالوا: إذًا لا حاجة للإله، ما دام عرفنا السبب وراء نزول المطر، وكنا قديمًا نقول: إنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو اَلَّذِي ينزل المطر، إذًا لا حاجة للإلهِ، وهذه إشكالية كُبرى وخلل في الفهم.

۞ وجه هذا الخلل:

★ الإشكالية الأوَلى: أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم يقل أو لم يأتِ دِّين من الأديان بأنهُ لا يوجد اسمهُ سبب لهذه الحوادث الكونية، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم ينفِ وجود السبب، الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم ينفِ الأسباب، بعض هذه الأسباب كانت خافية علينا ربما، فلا يصحُّ عقلًا أنْ نجعل اكتشاف هذه الأسباب سببًا لنفي الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ، أو لنفي الحاجة إليهِ، كما قال هذا الفلكي الشهير لابلاس.

الفلكي اَلَّذِي كان عند نابليون، وأَلف كتابًا في الظواهر الكونية وأهداهُ إلى نابليون، فلما قرأه نابليون قال: أين الله في كتابك يا لابلاس؟ فقال: يا سيدي لم نعد بحاجةٍ إلى الإله، هذه الفكرة فكرة غبية، فكرة ساذجة فكرة استغناء الخلق عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لمجرد أنَّ الله كشف لهم شيئًا من أسباب الكون أو من أسرار الكون، هذا المبدأ اَلَّذِي قاموا عليهِ مبدأ غبي؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم يقل إنهُ لا يوجد أسباب للكون، لم يقل إنَّ المطر هذا ناشئ عن البحر، أو ليس ناشئًا عن البحر أو نحو ذلك.

وكوننا اكتشفنا سبب هذا المطر لا ينفي أنَّ الخالق، أو اَلَّذِي أنزل المطر حقيقةً هو الله؛ لأنَّ الله هو اَلَّذِي خلق البحر أوَلًا، وهو اَلَّذِي أمر بتبخر الماء، وهو اَلَّذِي فعل هذا الأمر، وهو اَلَّذِي أنزل المطر في الحقيقة، فهذه هي الإشكالية الأوَلى.

★ الإشكالية الثانية من وراء هذا المنهج اَلَّذِي طغا وهو المنهج المادي أو المنهج العلموي: هو إيجاد ثنائية زائفة بين الدِّين والعلم، فجعلوا الدِّين بمعزلٍ عن العلم، وجعلوا هذه الثنائية المتقابلة ثنائية زائفة متقابلة ليست حقيقية أنْ تقول: أنت تريد هذا الشيء من ناحية دينية أم ناحية علمية، وكأنَّ الدِّين لا يمكن أنْ يتقابل مع العلم والعلم لا يمكن أنْ يتقابل مع الدِّين، وهذا لا شك إنهُ خللٌ كبير.

۞ **وأنا هنا أتكلَّم عن الدِّين الإسلامي**، لا علاقة لي باليهودية اَلَّتِي حُرفَت، ولا بالنصرانية اَلَّتِي حُرفَت، قد يكون عندهم اختلالات نعم، ومن الظلم أنْ تجعل الإسلام مع اليهودية الموجودة اليوم والنصرانية الموجودة اليوم في سلةٍ واحدة في هذا المبحث، لا، نحن ليس لنا علاقة باليهودية والنصرانية، وهذا صادق جلال العظم في كتابهِ [نقد الفِكر الدِّيني] كان عنده اختلال في هذا الجانب، فجعل الإسلام واليهودية والنصرانية في سلةٍ واحدة، وانتقض مخالفة الدِّين ولم يحدد ما هو الدِّين اَلَّذِي نقضه، ويذكر شيء من الإسلام، شيء من النصرانية، شيء من اليهودية.

نحن لا علاقة لنا باليهودية والنصرانية في هذا الجانب، نتكلَّم عن الإسلام لا يوجد في الدِّين الإسلامي ما يخالف العلم الثابت المثبت الحقيقي، بقي أشياء لم نفهمها لا يعني أنها متعارضة أو متناقضة أو نحو ذلك، ولولا ضيق الوقت لذكرت أمثلة كثيرة على هذا الجانب، لعلي أكتفي بهذا الجواب.

الفريق بين العقل والحِس

المقدم: أريد أنْ أشير لنقطة أيضًا لو تتطرق لها أستاذ مطلق أنهم ما يفرقون بين العقل والحِس، الحس ناقل للمعرفة، والعقل هو الحاكم لها، بمعنى اليوم أنا لو عندي معادن وجربت عشر معادن واكتشفت أنها تتمدد بالحرارة، ما اَلَّذِي يجعلني أعمم أنَّ كل المعادن تتمدد بالحرارة، أو مثلًا الحديد جربت عشر أنواع من الحديد وكلها اتمددت بالحرارة، ما اَلَّذِي يجعلني أعمم على باقي الحديد وهو مبدأ عقلي أنَّ الاشتراك في الماهيات يوجب الاشتراك في الحكم، هم كيف انتقلوا لهذا الحكم عن طريق العقل، أمَّا الحِس بذاتهُ هو ناقل للمعرفة ينقل لك الصورة المعالجة للفكر في العقل.

الشيخ: بالضبط، وهذا اَلَّذِي أقصده قبل قليل بقول: التكامل، التكامل بين مصادر المعرفة أنك لا يمكن أنْ تستغني عن العقل وأنت تستدل بالمنهج التجريبي أو بالمنهج المادي، ففكرة أنك تقول: إنَّ المصدر الوحيد المعرفة أو المصدر المادي بمعزل عن العقل، هذا كلام غير متصوّر أصلًا؛ لأنَّ المنهج المادي أو المنهج التجريبي لا يمكن أنْ يُبنَى إلَّا على طبقةٍ من العقل، فهذه التجربة مثلًا المادية المعينة اَلَّذِي إذا فعلت كذا فحصل منهُ جرائهِ كذا، هذا لولا المبدأ مبدأ السببية العقلي لا يمكنك أنْ تستدل.

❁ لو كان عندك خلل في مبدأ السببية كيف ستثبت أنَّ هذه النتيجة البحثية هي نتيجة هذه المعطيات التالية، ممكن شخص يقول: مّنْ اَلَّذِي قال هذا؟ يمكن صدفة صارت، هذه الصدفة تكررت مرة ومرتين؟ يقول: ما في، فمَنْ عندهُ خلل في الاستدلال العقلي أو بمصدر العقل كمصدر من مصادر المعرفة، لا يمكن أنَّ أصلًا أنْ يبني معرفةً من المنهج التجريبي أو المنهج المادي.

الخبر

المقدم: أريد أنْ ننتقل لمصدر مهم يثور عليهِ لغط كبير وهو الخبر، فالآن تناقشنا عن العقل وتناقشنا عن الحِس، صحيح أنَّ المقام لا يسع لتفصيل كلٍ منهما، لكن بشكل سريع اتناقشنا عنهم، قد نأتي الآن للخبر هذا الخبر يُعتبر إشكال عندهم كثير، أنهُ لا يؤمن بهذا المصدر أبدًا.

طالب: بعد إذنك يا شيخنا مطلق قبل الإجابة على هذا السؤال، ما رأيك بعد الإجابة على هذا السؤال نستقبل مشاركات الإخوان والأخوات، لا بأس.

الشيخ: لا بأس، طبعًا بالنسبة للخبر كمصدر من مصادر المعرفة يجب أنْ نفرِق بين أصل هذا المصدر وبين تفاصيلهِ، فمن حيث الأصل أنا لا أظنُ أنَّ عاقلًا يعيشُ على هذا الكوكب ينكر هذا المصدر، **أي حتى هؤلاء الذين يقولون نحن نؤمن بالعلم هل كلهم دخلوا المختبرات والمعامل وأجروا التجارب العلمية بأيديهم؟**

الجواب: قطعًا لا، كل العلم اَلَّذِي عندهم أتاهم عن طريق الخبر، حتى كورونا الآن نحن لم نراها بأعيننا، لا نعرف ما رأيناها بأعيننا الآن، كيف عرفناها؟ عرفنا من خلال الخبر، خلال خبر أهل الاختصاص، العلماء المختصين قالوا لنا: في شيء اسمهُ كورونا، لذلك يوجد الآن مَنْ يشكك يقول: لا، وهذه نظرية، وهذا كذا وهذا كذا.

➤ **فإنكار أصل فكرة أنَّ الخبر مصدر مقبول من مصادر المعرفة أنا لا أتصوّر عاقلًا ينكرها؛** لأنَّ حياتنا اليوم أنت لا تستطيع أنْ ترى كل شيءٍ بعينك، ولا أنْ تدخل المعامل والمختبرات بنفسك، وإنَّما أنت عندك مجموعة أخبار هي اَلَّتِي تبني معرفتك، وهذه المعرفة معرفة لا إشكال فيها.

❁ **هذا الجانب الأوَل**: هو أصل مصدر الخبر كمصدر من مصادر المعرفة.

❁ **الجانب الثاني**: بقي قضية التفاصيل: هل نقبل هذه الأخبار أو لا نقبلها؟ أنا أقول: نحن أقصد نحن المسلمين بشكل عام بشهادةِ المنصفين من غير المسلمين نمتلكُ من المنظومات المعرفية، ونمتلك من العلوم الضخمة اَلَّتِي نخلت لنا الأخبار نخلًا، النخل ليس المقصود بهِ نخل الشجرة، لا نخل بمعنى الفلترة، فعندنا الآن شيء اسمهُ علم الحديث، عندنا شيء اسمهُ علم الرجال، هذه علوم، علم العلل، علوم لو تنظر إلى أدبيات هذه العلوم الكتب اَلَّتِي أُلِفت فيها والجهود اَلَّتِي بُذلَت فيها سنجد أنها في غاية الدقة.

★ **لذلك يوجد عندنا نحن المسلمين شيء اسمه خبر ضعيف**، شيء اسمه خبر صحيح، شيء اسمه خبر موضوع، نخلت نخلًا، فكل ما علينا الآن وهذه رسالة أنا أوجهها لإخواني المتخصصين في علوم الحديث يجب أنْ نبرز للنَّاسِ عمومًا لغير المسلمين وللمسلمين أيضًا ذلك العلم الواسع اَلَّذِي من خلالهِ تم نخل دراسة وتدقيق وإحكام الأخبار عندنا في الشريعة الإسلامية.

✹ **ودليل ذلك**: وهذا الكلام موجه لغير المسلمين، سبحان الله أنا كنت أتأمل لماذا نشِط فئة من النَّاس من غير المسلمين في القرون السابقة في دراسة العلم الشّرعي، ولا سيما علم الحديث، هناك جهود جهود المستشرقين في دراسة علوم الحديث جهود جبارة، فقط يكفي أنْ تنظر إلى كتاب [المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي] سبع مجلدات أو ثمن مجلدات ضخمة جدًّا دقيقة جدًّا أتوا لكتب الحديث التسعة وفصَّلوها تفصيلًا دقيقًا على الحروف، وتستطيع أنْ تستخرج الحديث بكل سهولة، طبعًا هذا قبل الآن الحواسيب، هذا كان عملهم يمكن كان قبل يمكن حوالي سبعين أو ثمانين سنة.

هؤلاء المستشرقين كأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حرَّكهم لهذا البحث ليكونوا شهودًا لأهل ملتهم ولأهل دِّينهم على هذا العلم العظيم، ولا أحصي شهادات هؤلاء رغم أنَّ في عندهم فئة ليست بالقليلة من غير المنصفين هم ومن غير المتجردين ومَنْ الذين كذبوا على الإسلام، ولكن في الجملة الكل منهم مقر بعظمة علم الحديث، وعلم نقل الأخبار عمومًا في هذا الدِّين العظيم.

❋ هذا الدِّين اَلَّذِي يتميز عن كل الأديان الموجودة اليوم هذه الميزة الوحيدة ميزة اتصال السند، نحن أسانيدنا متصلة منَّا إلى النبيّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لكن لا يوجد اليوم بين اليهود وموسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سند متصل، ولا بين النصارى وعيسى -عليه السلام- سند متصل، هذا أمر معروف، فهذا الأمر يجب أنْ يُبرَز.

لذلك أنا أهيب لإخواني المتخصصين في علم الحديث بمحاولة إبراز هذه الجهود بطريقة تتناسب مع عامة النَّاس.

المقدم: جميل، شكرًا لك، قبل استقبال المداخلات أفضل نقطة معينة أنَّ الشخص المشارك يكون عندهُ معارضة على الكلام اَلَّذِي ذكرناه، بحيث أنْ نفهم وجه اعتراضه، وممكن يقدم لكم الدكتور مطلق جواب، لكن إذا كنت موافقنا فهذا سيكون زيادة، لكن نحن نفضل أنْ يأتي لنا الشخص المعارض.

طالب: لا بأس في الزيادة، الزيادة نعطيك دقيقة والمستشكل دقيقتين.

أحد المشتركين أبو عمر: **أمسي عليكم بالخير، وأقول: جزاكم الله خير على هذا الموضوع الطيب، دكتور/ مطلق الآن أنا أستسفر استفسار بسيط الآن، الآن الشباب الذين لديهم هذا التفكير المنحرف كالإلحاد وغيره، الآن ما دوري؟ فأنا ليس عندي خبرة ولا أستطيع أتصرف معه، ما الدور اَلَّذِي يمكن أنْ أفعله لأفيده وكذلك أفيد النَّاس من شر هذا الفكر، جزاك الله خير؟**

الشيخ: جميل، أحسنت، السؤال عما هو دور غير المتخصص في إذا شخص طرح شبهة أو نحو ذلك.

❁ **أوَلًا:** غير المتخصص أقول لهُ: السلامة لا يعدلها شيء، فرِ من الشبهات فرارك من الأسد، هذا رقم واحد.

❁ **ثانيًا:** إذا استطعت أنْ تمنع هذا الشخص من الحديث بطريقةٍ ما فافعل، إذا استطعت أنْ تمنع، فمثلًا تكون في مجلس وهذا المجلس فيهِ ناس من غير المتخصصين وفي واحد يبث شبهات، لا تدخل معهُ في حوار ولا تجعل أحد يدخل معهُ في حوار، ولكن حاول تمنعه تقول: يا فلان، طبعًا المنع هذا ليس عجزًا في الدِّين لا، ولكن توجيه للموضوع.

فتقول لهُ: يا أخي الكريم، هذا الموضوع تخصصي ونحن غير متخصصين، فأرجو لا تدخلنا في شيء نحن لسنا متخصصين فيهِ بكل بساطة، لا يجوز أنْ تأتي وتستشير النَّاس في دقائق علم الهندسة مثلًا وهم غير مهندسين، فتسكتهُ وتحاول أنْ تغير الموضوع، تحاول أنْ تحرف الموضوع، فإنْ لم تستطع فأنجُ بنفسك إذا لم تكن متخصصًا طبعًا، أنا كلامي لغير المتخصص اَلَّذِي لا يملك العُدة الكافية للجواب عن مثل هذا السؤال أو مثل هذه الشبهة.

أحد المشتركين الأخ أيمن: سلام عليكم، أشكركم، أنا أكلمكم من ساحة المسجد النبوي، حياك الله شيخ مطلق، شيخ مطلق عندي تعليق إذا سمحت لي على ما ذكرت، أنا أعتقد شيخ مطلق أنَّ الإلحاد ليس سببهُ أنَّ العلم قد فسَّر جزئيات أو أشياء ربما لم تكن تُفسَر من قبل، ويُرجَع صنيعها إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

نحن عندنا في الإسلام -يا شيخ- عندنا الأسباب وربُ الأسباب ومسبب الأسباب وهو الله عَزَّوَجَلَّ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما أخبر في كتابهِ قال: حتى معجزات الأنبياء وآيات الأنبياء تؤخذ بالأسباب، ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾[الشعراء:٦٣]، ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[ص:٤٢]، والنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ظاهر بين الدرعين وهو سيد البشر.

۞ **فالأخذ بالأسباب الدنيا كلها خُلقَت عليها**، سواءً الظواهر الفيزيائية الطبيعية، أو حتى الَّتِي نحن نجهلها، فقدان الشيء أو متفزيقياته لا يعني عدم وجودهُ في عقولنا، فنحن البشر إذا ظننا أنَّ في شيء موضع قولنا ولا نستدركهُ، ولا نستكشفه بحواسنا نظن أنهُ في العدم وغير موجود، وهذا الزمان كشف لنا أنهُ شيء غير حقيقي أبدًا، هذا على سبيل الشّريعة مثلًا: عندنا لو نأخذ في تخصصي أنا في اللغة واللسانيات إلى اليوم نحن لا نعرف من أين تأتي اللغة، وكيف يكتسب الطفل اللغة؟ وكيف ينشئ اللغة ويستطيع الإنسان أنْ يتكلَّم؟ آخر نظرية هي نظرية تشومسكي نظرية تشومسكي تقوم على افتراض وضع خط على افتراض أنَّ هناك جهاز فطري في الإنسان يمكِّنهُ من اكتساب اللغة وتوليد اللغة، ما في شيء محتوم إلى اليوم.

➤ **مثلًا:** الفيزياء مثلًا هم يفترضون وجود تسعين في المائة من الطاقة في الكون، لما كان منظار هابل تفتش عينهُ في الفضاء، هم يفترضون تسعين في المائة من الطاقة موجودة، أو هي أصلًا ليست موجودة أكيد، إلى الآن عندنا فجوة كبيرة جدًّا جدًّا بين الكون والمحسوسات وبين ما نعلمهُ نحن كبشر، نقول: نحن كبشر، هذه فقط كانت مداخلتي، والإلحاد هو الإلحاد غير أنَّ في أشياء فُسرَت على أنها تفسير ظواهري، إلَّا أنَّ الإلحاد وخاصةً في زمن الحداثيين وغير الحداثيين الذين يزعمون موت الآلهة، وهم لا يعنون هذه الكلمة نصًّا وإنَّما يعنون أنَّ لا إله.

إنَّما هي مثل طبعًا الافتراض اَلَّذِي يفترضهُ الطفل لما يتمَّنى موت أبوه، هو هروب من الوصايا لا أقل ولا أكثر، شكر الله لكم، وشكر الله للقائمين على هذا البرنامج، شكرًا.

الشيخ: طبعًا كلام الشيخ أيضًا صحيح، وأنا لم أقول إنَّ هو سبب الإلحاد الوحيد، هو أحد الأسباب وهناك أسباب كثيرة طبعًا وبواعث الإلحاد وأسبابهُ وبواعث الانحراف بشكل عام كثيرة جدًّا، منها هذا تخضم النظرة المادية للأمور، وقضية الأسباب لا شك أنها مُعترف بها في دِّينا كما وضح الشيخ أيمن بالأمثلة.

أحد المشتركين الأخ محمد: السلام عليكم، يعطيكم العافية، يعطيك العافية دكتور، أنا وددت ليس انتقاضًا أو اختلاف لكن مسألة الخبر اَلَّذِي ذكرتم في تراتبية نظرية المعرفة، أو الخبر حسب ما أنا فاهم أو متصور في هناك اختلاف شديد على مسألة الخبر من ناحية إذا كان الخبر متواترًا أم غير متواتر، وحسب ما قرأت أنَّ عند المتكلمين يُعتبر الخبر اليقيني أو ما يفيد العلم هو فقط الخبر المتواتر، اَلَّذِي يفيد القطع والجزم والعلم.

➤ **أمَّا الخبر الغير متواتر أو ما يُسمَّى بالآحاد** هذه الأشياء هذه الأحاديث أو الأخبار فقط تفيد العمل، ولا ترقى إلى مرتبة القطع الجازم في مثلًا البرهنة على الاعتقاد، أو ما يؤسس إلى نظرية معرفية سليمة، فأردت أنْ أعرف بين الإسلاميين نفسهم هل الخبر من ناحية أنهُ متواتر أو آحاد في اختلاف شديد أو لا؟ شكرًا.

الشيخ: الله يبارك فيك، أوَلًا: أنا ما تدخلت في هذه التفاصيل في قضية الخبر، أنا قلت بشكل مختصر أنَّ عندنا أصل الخبر كمصدر من مصادر المعرفة، وقلت: إنَّ هذا لا إشكال فيهِ، أو ينبغي ألَّا يكون فيهِ إشكال.

❁ **الأمر الثاني**: تفاصيل الخبر ولم أدخل في هذه التفاصيل، مثل ما تفضلت صحيح أنَّ هناك خبر متواتر وهذا يفيد القطع واليقين، وهناك خبر الآحاد وهذا يفيد الظن، وهناك طبعًا شدٌّ وجذب -إنْ صحَّ التعبير- في قضية إثبات العقائد بالقطع والظن في قضية أخبار الآحاد، والقضية أنا لا أريد أنْ أدخل في تفاصيلها؛ لأنَّ تفاصيلها كثيرة ومتشعبة وتخرج بنا عن هذا المقام.

❁ ولكن بشكلٍ عام نحن في الإسلام متعبدون في العبادات بغلبة الظن، فلا يُشترط أنْ يأتينا النصّ القطعي حتى نعمل، فعندنا أحاديث الآحاد لا إشكال فيها من حيث الفقه بالعمل فيها، في هناك مَنْ أثار الإشكال في قضية إثبات العقائد، واشترطوا فيها أنْ تكون قطعية، ولكن بشكلٍ عام أصول الدِّين الإسلامي الأدلة الشّرعية اَلَّتِي تبني أصول هذا الدِّين وأساس هذا الدِّين وبنيان هذا الدِّين لا يوجد فيهِ شيء فيهِ إشكال من ناحية الظن.

تبقى المسائل اَلَّتِي فيها إشكال، أو فيها تجاذب للأفكار في قضية أخبار الآحاد هي بعض الصفات لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ، هل نثبت هذه الصفة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إذا جاءت في خبر آحاد أو لا مثلًا، أو بعض المسائل اَلَّتِي لو جهلها المسلم لا تؤثر على أصل دينهِ وأصل إسلامهِ، فهذه هي القضية.

المقدم: إذا تسمح لي قبل هذا أنْ أضيف نقطة: أنَّ حديث الآحاد ليس بالضرورة دائمًا يفيد الظن، فلو أخبرني مثلًا أبو بكر على أمرٍ ما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فانا أصدقهُ قطعًا؛ لأنَّ الأدلة تواترت على فضلهِ وصدقهِ، فهذه فقط نقطة أضيفها على كلام الدكتور/ مطلق أنَّ خبر الآحاد ليس دائمًا يفيد الظن، لا تفيد القطع.

الشيخ: هذا يسموه خبر الآحاد المحتف بهِ قرائن قد تصل بهِ إلى مرتبة القطع.

أحد المشتركين الأخت إيمان: السلام عليكم ورحمة الله، يعطيكم العافية على الموضوع هذا، دكتور، أنا فقط أريد وهذا ليس كإضافة لكن موضوع نظرية المعرفة يشترك معي في مجال بحثي، أنا طبعًا طالبة ماجستير في العقيدة، وبإذن الله دفعتي بالقسم خطة في نقد فلسفة العلم، ففلسفة العلم -كما تعلمون- أنها نقض في إطار العلم نفسه من حيث حدوده ومجالاته والأشياء هذه، سؤالي فقط بسيط: **وهي أنَّ كيف أنقض تلك الفلسفة بالدراسات الإسلامية النقدية، خصوصًا أنَّ بحثي يعتبر أوَل بحث إسلامي يخدم هذا المجال، وشكرًا لك؟**

الشيخ: طبعًا بالنسبة لقضية نقد فلسفة العلم بالعلم نفسه هذا أمر متيسر، لكن أنا لم أستوعب بشكل واضح الفكرة أو البحث اَلَّذِي تقدميهِ لنا فلسفة العلم موضوع متشعب، هل يتناول كل العلوم أم فقط العلم التجريبي أو نحو ذلك، لكن بشكلٍ عام هناك بعض المراجع في نظرية المعرفة، منها كتاب [نظرية المعرفة]، أو [نظرية المعرفة في الإسلام] الشيخ الدكتور/ عبد الله القرني كتاب مفيد، في هناك مَنْ ذكَر قضية موقف الإسلام من العلم والعقل الشَّيخ مصطفى صبري رَحِمَهُ اللَّهُ كتابٌ كبير في أربع مجلدات فيهِ قضايا كثيرة.

۞ أحيلكِ كذلك على كتاب للإمام ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب [العواصم من القواسم]، هذا الكتاب ضُرِب تاريخيًا لأنهُ طُبِع جزء منهُ فقط المتعلق بما شجر بين الصحابة طبعهُ محب الدِّين الخطيب، فظنَّ النَّاس أنهُ فقط متعلق بهذا، ولكنهُ كتاب جميل جدًّا، فيهِ كلام حتى عن نظرية المعرفة في مقدماتهِ مفيد لطلاب العلم في هذا الباب طبعًا الطبعة الكاملة، هناك طُبِع طبعة أظن في دار الغرب أو نسيت الدار الآن.

طبعًا كتب أبي حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [معيار العلم] وغيرها تفيد جدًّا في هذا الجانب، كتب القاضي عبد الجبار طبعًا هذا من المتخصصين، هو من أئمة المعتزلة، فكتابهُ [الأصول الخمسة] فيه فصول عن نظرية المعرفة إلى آخرهِ، فالكتب الإسلامية في نظرية المعرفة ونقضها متوفرةٌ كثيرة لكن تحتاج من طالب العلم البحث فيها، وقد لا تكون باسم نظرية المعرفة، ولكنها موجودة قطعًا.

مقدمات كتب أصول الفقه مليئة بفكرة نظرية المعرفة، لكن ما يسمونها نظرية المعرفة يتكلَّمون عن حتى أصل اللغات، يتكلَّمون عن العقل ما معناه، يتكلَّمون عن العلم والمدركات أنواع المدركات، فعليكِ بالكتب المطولة في أصول الفقه ففيها الشيء الكثير في هذا الجانب، ووفقكِ الله وسددك.

أحد المشتركين الأخ إبراهيم: **السلام عليكم، في جزئية متعلِّقة بالفطرة لو استثنينا قضية البديهيات أو المبادئ العقلية الضرورية لا تصبح الفطرة بحد ذاتها دليل ملزم، فكيف نعدها من مصادر المعرفة، أحب أمثل على ذلك مثلًا بالأمور المتعلِّقة بالذوق مثلًا معينة هي جاءت بالفطرة، لكن لو لم يرد مثلًا خطاب الشَّرع بعدها من الفطرة لما أصبحت ملزمة، هذا سؤال.**

الشيخ: الله يحفظك، طبعًا لما أقول: إنَّ هذا الشيء مصدر من مصادر المعرفة لا يعني بالضرورةِ أنْ يكون ملزمًا، أو أنْ تكون كل أفرادهُ ملزمة، فهناك فرق بين أنْ أقول أنا أؤمن بالخبر مثلًا على سبيل المثال كمصدر من مصادر المعرفة من حيث الأصل، ولكن هل كل خبر يجب أنْ أقبله أو يكون ملزم لي؟ لا، ممكن أناقش في أفراد هذا المصدر، قل مثل ذلك في الحِس، نعم أنا كل ما أراه بعيني هذا مصدر، أو الحِس بشكل عام مثل النظر البصري مصدر من مصادر المعرفة، ولكن هل يعني ذلك أنَّ كل ما أراه بعيني ملزم؟ لا، قد يكون في هناك خداع، قد أناقش.

☆ فإذًا لا تلازم بين كون الشيء مصدر من مصادر المعرفة وبين التزام أو وجوب الالتزام بكل فرد من أفرادهِ، ممكن أناقش في بعض الأفراد ولكن هذا لا يعود على الأصل بالبطلان.

أحد المشتركين الأخ محمود: السلام عليكم، اسمحوا لي باقتطاع ثلاثين ثانية من وقتكم، لم أستطع كدح نفسي لأخبر شيخي شكرًا على الاستفادة المركزة شكر الله لك، ونفع بك، كانت أعظم مادة حضرتها في الهوس كلب فشكرًا لك، ورجائي لكم طلوا علينا مرةً أخرى ولو كالبدر مرةً في الشهر، شكرًا لكم.

الشيخ: الله يحفظك، الله يحفظك يا شيخ محمود، جزاك الله خير.

أحد المشتركين الأخ أحمد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية لشيخنا مطلق الجاسر والإخوة الكرام، **أنا عندي نقطتين:**

❁ **الأوَلى:** متعلقة بالفطرة وعرَج عليها الأخ إبراهيم قبل قليل، نعم لا زال مفهومها ضبابي بالنسبة لي، ما المقصود بها كمصدر من مصادر المعرفة؟ أنا ما أعرفه أنَّ هي المبادئ العقلية الأولية، فهل الفطرة هي المبادئ العقلية أو شيء آخر تمامًا؟ لأنَّ حتى الفرضية اَلَّتِي ذكرها الشيخ مطلق فرضية وجود طفل في جزيرة، فهي مجرد فرضية غير متحققة ما في أحد يستغني عن طفله في جزيرة منعزلة.

ومثَّلها أعتقد ابن الطفيل في قصة الحي ابن يقظان، وأنهُ توصل في النهاية إلى التوحيد أو وجود واحد وخالق واحد لهذا العالم، لكن هذا التوصل كان عن طريق المبادئ العقلية، كيف نستدل بهِ أنهُ عن طريق الفطرة، هل الفطرة شيء آخر متمايز عن المبادئ العقلية الأولية إلى الآن ليس لها مفهوم عندي منضبط، هذه النقطة الأوَلى.

❁ **النقطة الثانية:** متعلِّقة بنظرية المعرفة نفسها حول المبادئ العقلية، وأنَّ الملاحدة مثلًا هم يتنكروا لهذه المبادئ وإلى آخرهِ، أنا لا أعرف لكن أعتقد أنَّ هذا صحيح ويصحّ في القرن التاسع عشر في وقت نشوة العلم، لكن تقريبًا في العصر الحديث هذه الحدة انكسرت تمامًا خصوصًا بعد كوانتم، وأصبحت نظرية المعرفة تؤسس على البرجماتية في التعامل مع المعرفة، هو يقول لك: كل معرفة تعمل في الواقع فهي اَلَّتِي نسميها معرفة، أنا أنظر إلى الإلكترون مثلًا لا أعرف اتجاهه، لا أعرف سرعته، لا أعرف عنه شيء ليس مهم، المهم أنهُ يصنع لي آيفون في نهاية المطاف، هذه هي المعرفة المعتبرة عندي.

وعلى ذلك: قس، فحاليًا منطقة الجدل في المعرفة وهو التعامل البرجماتي مع المعرفة وليست قضية التنكر للمبادئ العقلية الأوَلى، هذه تقريبًا أعتقد صحيحة في القرن التاسع عشر، تعقيب يا شيخ، جزاكم الله خير.

الشيخ: حياك الله يا شيخ أحمد الله يحفظك ويبارك فيك، طبعًا لما أقول: الفِطرة كمصدر من مصادر المعرفة لا شك أنَّ هناك مثل ما أخبرت أنَّ هناك تكامل في هذه المصادر، وقد يكون هناك شيء من التداخل، فمثلما تفضَلت المبادئ العقلية الضرورية هي داخلة في مصدر العقل وداخلة في مصدر الفطرة وبينهما تكامل.

❁ إذًا ما اَلَّذِي تميَز بهِ مصدر الفِطرة؟ من وجهة نظري أنَّ اَلَّذِي تميَز بهِ هو أمور غير المبادئ العقلية الضرورية مبدأ التوحيد مثلًا، الفكرة الأساسية اَلَّتِي جعلتني أصر على إفراض الفِطرة كمصدر من مصادر المعرفة مع علمي أنَّ كثيرًا من الأدبيات الشرعية أو المؤلفات الشرعية في مصادر المعرفة لا تجعل الفِطرة مصدر من مصادر المعرفة، وتجعلها ثلاثة قضية التوحيد أنَّ مبدأ التوحيد فكرة التوحيد لم يستمدها الطفل من العقل، ولم يستمدها من الخبر، ولم يستمدها من الحِس بطبيعة الحال.

❁ فإذًا من أين أستمدها؟ أنا أقول: أستمدها من الفطرة، فالفطرة تضَمنت المبادئ العقلية الضرورية، ولك أنْ تحتسبها ضمن مصدر العقل نعم ليس عندي إشكال، ولكن يبقى قضية التوحيد، هذا التوحيد نحن المسلمون عندنا دليل ونص على هذا الأمر أنَّ كل مولودٍ يُولَد على الفِطر.

➤ ثم بيَّن النبيّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما المقصود بهذه الفطرة، فقال: **«فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ»**، إذًا الفطرة هي التوحيد أو دِّين الإسلام، ومثلما تفضلت صحيح أنا لا أعرف فعل هذا وضع طفل في جزيرة صحيح، ولكن أنا لأنني ولأنَّ كل مسلم يؤمن ويصدِق بهذا الحديث فأنا أقول: نعم، كل طفل إذا تجرَّد عن المؤثرات الخارجية من أبٍ نصرانيٍ أو يهوديٍ أو مجوسي فإنهُ سيخرج مسلمًا موحدًا، ليس عندهُ تفاصيل الإسلام نعم ولكن عندهُ أصل بناء الدِّين الإسلامي وهو التوحيد والإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

ورسالة أبو الطفيل التي أشرت لها هناك رسالة أخرى ألفت الأنظار إليها وهي رسالة ماتعة، نفس فكرة ابن الطفيل وهي رسالة اسمها [الرسالة الكاملية] لابن النفيس، هذه الرسالة طُبِعَت باسم [الرسالة الكاملية في السيرة النبوي] هي مبنية على قصة، أنا أحيل المتخصصين عليها؛ لأن قد يعتورها بعض الخلل، ولكنها تعتمد على قصة خيالية أسلوب فريد، وابن النفيس هو بالمناسبة هو نفسه العالم المسلم المكتشف الدورة الدموية والرسالة موجودة بي دي إف في النت وهي رسالة ماتعة في الحقيقة.

ذكَر فيها قصة خيالية لطفل وُلِد في جزيرة ونشأ، وتساءل بدأ يتساءل عن الأشياء ويجيبه صاحب القصة وهكذا، حتى وصل إلى أنَّ الإسلام هو الدِّين الحقّ أو الدِّين الصحيح، ألفت الأنظار إلى هذه القصة، ألفت أنظار المتخصصين إليها، كيف نستفيد منها في توظيفها في الحوار الإلحادي واللاديني اليوم تحتاج إلى مَنْ يلتفت لها، ويستخرج لنا منها الفوائد، شكر الله لك يا شيخ أحمد.

نسيت إذا في سؤال ثاني شيخ أحمد غير هذا، أم أجبت عن أسئلتك كلها؟

الأخ أحمد: الله يجزاك خير شيخنا أنا طالب عندك ولست شيخ، لكن السؤال الثاني كان حول نظرية المعرفة، وأن تنكر المبادئ العقلية الأوَلى هذا صحيح في القرن التاسع عشر.

الشيخ: صحيح، كلامك صحيح شيخ، أنا كنت أتكلَّم عن القرن التاسع عشر وأواخر القرن الثامن عشر حصل هناك تنكر شديد، اليوم مثلما أؤيد ما تقول: أنَّ هناك عندنا إشكال في قضية التعامل البرجماتي لنظرية المعرفة، هذا كلام صحيح، وأنَّ العلم اَلَّذِي ينبغي أو كان من المفترضِ أنْ يكون محايدًا لم يعد محايدًا اليوم، وأصبح هناك توجيه بشكل أو بآخر لهذا، **ولعل أبرز مثال لذلك**: هي قضية الدروانين ومحاربتهم لَمَنْ يخالف نظريتهم، وأحيل الجميع إلى الفيلم الوثائقي الشهير فيلم المتردون يدلل على هذا الأمر، أحسنت يا شيخ أحمد وبارك الله فيك.

أحد المشتركين الأخت فاطمة: أعتقد أنَّ جزء من الفطرة قد يكون هو النزعة الخيرة لدى الفرد، أو نزعة لأنهُ يعرف الصح من الخطأ، وهذه تجربة أقيمت لعالم النفس الكبير اَلَّذِي يشتغل في أحد المفكرين الموجودين في جامعة أكسفورد قام بعمل تجربة أخذ فيها ربع أطفال لم يبلغوا حتى سنة أو سنتين وقام بجعلهم أنْ يشاهدوا دميتين دمية تميل إلى الشر أو إلى الطمع أو إلى الإيذاء، والدمية الأخرى تميل إلى الخير والمساعدة، فبعد أنْ خيروا هؤلاء الأطفال أي دمية يريدون، أو أي دمية يفضلون، الأغلب إلى أكثر إلى حدود ثمانين بالمائة اختاروا الدمية اَلَّتِي مالت إلى مساعدة الآخرين.

❁ فأنا أعتقد أنَّ قد يُقصَد بالفطرة هي نزعة الفرد الخيرة، وهذه أجيب عنها في علم النفس الحديث، بالنسبة لنظرية المعرفة وقواعد التفكير السليم طبعًا هذا منهج في الطب النفسي يندرج تحت العلاج المعرفي، واحد من آباء الطب النفسي آرون بك استحدث مدرسة اسمها المدرسة المعرفية أو ألبرت ألس هؤلاء آباء المدارس المعرفية في الطب النفسي، وهي واحدة من المدارس المعتبرة وتُعتبر الخط الدفاعي الأوَل للاضطرابات شهيرة ومنتشرة لعلاج الاكتئاب، لعلاج القلق أنهُ يتم تصحيح التشوه المعرفي لدى الفرد، وجزء من التشوهات المعرفية اَلَّتِي يمتلكها الفرد قد تقوده لبعض الاضطرابات النفسية.

مثلما ذكَرنا مثل الاضطرابات الشهيرة الوسواس القهري، حتى أحيانًا الاكتئاب أو القلق، فهذه من ضمن الجلسات العيادية وتعتبر من أساليب التدخل اللادوائية المعتبرة اَلَّتِي تُستخدَم لتعليم الفرد كيف أنْ يعيد معالجة العالم، وهذه المعالجة تقوده لحالة من التصالح الانفعالي، وحالة من التصالح السلوكي أيضًا، فأعتقد أنَّ نظرية المعرفة وقواعد التفكير السليم أساسيات واحتياجات جوهرية تقود الفرد لحالة الصحة النفسية والصحة العقلية والاجتماعية أيضًا، شكرًا لكم على هذه المعلومات الرائعة جدًّا، إضافة رائعة جدًّا، أشكرك الأخ الفاضل الدكتور/ مطلق شكرًا لك.

الشيخ: الله يحفظك يا أستاذة فاطمة، شكرًا لكِ على هذه المعلومات القيمة.

أهمية نظرية المعرفة

المقدم: لو تسمحوا لي كلمة ختامية بخصوص هذا الشيء، وبعدها نسلم الميك للدكتور/ مطلق، أهمية نظرية المعرفة بما أننا تكلمنا عليها بحاول أعطيكم أهميتها وكيف هي مرتكزة جدًّا في خطابتنا، الآن أصبحت الشبهات منتشرة بين النَّاس لم تعد مدفونة في الكتب أو تُناقَش بين النُخب هي منتشرة بين النَّاس، ودائمًا حين يبادر المسلمين بمناقشة هذه الأمور يعيدون لنقطة حكمة الحكم الشرعي.

فدائمًا يبدؤون النقاش مثلًا ما حكمة الحكم الشرعي الفلاني؟ لماذا يوجد تعدد؟ فيبدأون في مناقشة هذا الشيء بزوايا عملية دنيوية، وهذه طريقة خاطئة، لا بُدَّ من إعادة النقاش إلى نحن أننا نؤمن بهذا الشيء وفقًا؛ لأنَّ في أدلة على وجود الله، ثم هنالك أدلة على براهين نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثم نحن نتبع بكل ما جاءوا بهِ، ولنجيب على سؤال براهين وجود الله ونبحث فيهِ لا بُدَّ أنْ يكون لدينا نقطة معرفية أي مصادر المعرفة وإمكانية المعرفة، فهي تعتبر أوَل السُلم.

إذا تريد أنْ تناقش مسألة وجود الله أنت تعود لأوَل السُلم في المعرفة، وهو هل يمكن أنْ نعرف؟ ثم بعد ذلك كيف نعرف؟ ثم بعد ذلك نوحد أرضية مشتركة لمناقشة هذه الأمور، فلذلك هذا الموضوع يعتبر من المواضيع جدًّا مهمة الَّذِي ينبغي على الثقافة العامة عند النَّاس يكونوا مدركين لهذا الأمر، ثقافتهم العامة تكون مدركة لهذا الأمر، وتفضل دكتور مطلق.

الشيخ: زاد الله فضلك، جزاكم الله خير جميعًا، أشكر الإخوة الذين دعوني لهذه الغرفة، وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنْ يصلح نياتنا ونياتكم، وأعمالنا وأعمالكم، وأنْ يجعل ما قلناه حُجَّةً لنا لا علينا، أشكر الجميع على حُسن الإنصات وحُسن الاستماع، وجزاكم الله خيرًا.

المقدم: ما شاء الله يا شيخنا، والله كان اللقاء جميل ولا يُمل، والحمد لله خرجنا بلقاء ماتع ومنظم جدًّا، الحمد لله هذا من توفيق الله، إنْ شاء الله بإذن الله إنها لن تكن النهاية وستكون هناك سلسلة قادمة بإذن الله، عمومًا شكر الله لكم، وهذا مثلما يقولون الختام.

الشيخ: جزاكم الله خير جميعًا، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.